المعلّم غالي والموسوعة القبطيّة

بقلم الأب فيليب لُويزِييه اليسوعيّ*

عند صدور المجلّدات الثمانية التي تؤلّف الموسوعة القبطيّة[1]، وَجَدَ في هذا الخبر جميعُ المهتمّين بالمسيحيّة في مصر ما يدعو إلى السرور. فبدَلَ أن يضيعوا في أبحاث معقّدة جدًّا عن المصادر والمراجع، صار في متناولهم بعد ذلك اليوم خلاصة تسهّل عملهم إلى حدٍّ بعيد. ولكنّ الرجوع إلى الموسوعة الجديدة ما لبث أن خيّب أملهم، لأنّ العديد من موضوعاتها لا يفي بما يحقّ لنا أن نتوقّعه من مثل هذا المرجع. فلا نتردّد في الموافقة على الحُكم الذي أدلت به خبيرة بولنديّة تصف مجلّدات الموسوعة بأنّها «عمل غير متساوٍ إلى حدٍّ بعيد، إذ إنّنا نجد، إلى جانب مقالات كثيرة مبتكرة وضَعَها اختصاصيّون ممتازون، مقالات كثيرة أيضًا لا قيمة لها، منها مقالات في الليترجية بعيدة كلّ البعد عمّا يتطلّبه البحث العصريّ في الليترجيّة. ومع كلّ ذلك، تبقى هذه الموسوعة أداة عمل أساسيّة»[2].

لسوء الحظّ، لا تقتصر الثغرات في الموسوعة على الليترجيّة، فقد كثر عدد البُذَ التاريخيّة غير الكافية، وهي حتّى دون المعلومات التي سبق

(*) Philippe Luisier, s.j. باحث مستشرق، أستاذ في المعهد الشرقيّ الحبريّ، روما.

(١) *The Coptic Encyclopedia* (= Copt E), ed. Aziz S. ATTYA, New York 1991.

(٢) E. WYPSZYCKA, «Le istituzioni ecclesiastiche in Egitto dalla fine del III all'inizio dell'VIII secolo», dans Alberto CAMPLANI (ed.), *L'Egitto cristiano. Aspetti e problemi in età tardo-antica* (Studia Ephemeridis Augustinianum 56), Roma 1997, p. 267.

أن جمعها، منذ عهد قريب، كامل صالح نخله، على سبيل المثال[٣]. هذا وإنَّ بعض المقالات تصل حتّى إلى نقل أمور تخالف الحقيقة طالما تمَّ تكذيبها. إليكم مثالًا خطيرًا بوجه خاصّ نقتبسه من المجلَّد الرابع، ص ١١٤١، في النبذة التي خُصّصت للمعلّم غالي[٤].

يذكَّر فيها بأنّ محمَّد علي، بُعَيد تولّيه الحكم سنة ١٨٠٥، عيَّن غالي في إدارة الشؤون الماليّة. ثمّ تتوسّع النبذة في سياسة المعلّم البصيرة. ونصل أخيرًا إلى الفقرة الثالثة التي نوردها كاملة: «في أيّام إدارة غالي، اقترح السفير الفرنسيّ على الخُدَيْوي أن يأمر أقباط مصر بالانضمام إلى روما والخضوع للبابويّة. فأمر محمّد علي المعلّم غالي، الذي كان قبطيًّا، بأن يطلب إلى البطريرك القبطيّ أن يجيب إلى التماس السفير الفرنسيّ. كان غالي لا يشكّ في أنّ البطريرك لن يفعل ذلك أبدًا، فقال للخُدَيْوي إنّ أفضل طريقة ممكنة لاجتذاب الأقباط إلى الكثلكة هي أن يعتنق هو الإيمان الرومانيّ. فوافق الخُدَيْوي على الاقتراح، وهذا ما يُثبت أنّه هكذا انطلقت الجمعيّة الكاثوليكيّة الضئيلة في مصر. من الراجح أنّ هذا الأثر هو الأثر الوحيد الباقي عن أسرة غالي والقائل بأنّها أصبحت كاثوليكيّة في تلك المناسبة».

نلاحظ أوّلًا بعض الأخطاء. ففي أيّام غالي، لم يكن لفرنسا سفير في مصر، بل قناصل. على كلّ حال، يتجنّب الكاتب أن يذكر لنا اسمه[٥]. ومن جهة أخرى، لم يُطلَق على محمّد علي قطّ لقب الخُدَيْوي،

---

(٣) كامل صالح نخله، سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الكرسي الإسكندريّ، مطبوعات دير السريان 1951-1954, I-V.

(٤) إلى سيرة غالي (١٧٧٥-١٨٢٢) المذكورة في نبذة الموسوعة القبطيّة، يُضاف المقالة الحديثة التي كتبها Seÿna BACOT, «Un évangéliaire copte-arabe illustré du début du XIX^e siècle», dans *Etudes coptes V* (Cahiers de la Bibliothèque Copte 10), Paris-Louvain 1998, p. 93-112, ولكن بوجه خاصّ، الأنبا يوحنّا كابس، لمحات تاريخيّة عن المعلّم غالي وعصره ودوره في الكنيسة القبطيّة الكاثوليكيّة، القاهرة ١٩٧٦.

(٥) في هذا الموضوع، راجع Gaston WIET, «Les consuls de France en Egypte =

علمًا بأنّه لم يُصبح هذا اللقب رسميًّا إلّا على عهد إسماعيل[٦]. أمّا القول بأنّ اهتداء غالي كان نشأة الطائفة القبطيّة الكاثوليكيّة في مصر، فإنّه يناقض مناقضة صارخة ما ورد في المقال «الكنيسة القبطيّة الكاثوليكيّة» الذي نجده في الموسوعة[٧] والذي يحدّد نشأتها على عهد لاون الثاني عشر (١٨٢٤)، كما أنّه يناقض المراجع والمصادر التي يستند إليها المقال[٨]. فما أكثر الأخطاء والأقوال اللامنطقيّة حتّى الآن!

لكن ما يجب أن يُثير فضولنا هو الكلام على اهتداء غالي التكتيكيّ إلى الكثلكة. فإن تصفّحنا الوثائق التاريخيّة القبطيّة وما كتبه الذين يرجعون إليها، بدا لنا أنّنا أمام أمر ثابت، يتحدّث عنه كامل صالح نخله على عهد بطريركيّة بطرس السابع (١٨٠٩-١٨٥٢)[٩]. أمّا إيريس حبيب المصريّ، فإنّها تضيف إلى الاهتداء تاريخًا دقيقًا: «كان ذلك في شهر كانون الثاني (يناير) ١٨٢٢»[١٠]. وآخر شاهد على التقليد نجده في كتاب حديث جدًّا

---

sous le règne de Mohammed Ali», dans *Revue du Caire* 6; N°59 (1943) = 459-476: من ١٨٠٥ إلى ١٨٢٢، تولّى منصب قنصل عامّ Bernardino Drovetti المشهور (١٨٠٥-١٨١٤)، ثمّ Roussel (١٨١٦-١٨١٩)، وPillavoine (١٨١٩-١٨٢١). و Drovetti مرّة ثانية.

(٦) Cf. l'article KHIDIW par P.J. VATIKIOTIS, dans *Encyclopédie de l'Islam* V (1986), p. 4: فرمان ٨ حزيران (يونيو) ١٨٦٧. قبل ذلك، كان أسياد مصر، منذ عهد محمّد علي لا يُطلق عليهم إلّا لقب والٍ.

(٧) الموسوعة القبطيّة، ص ٦٠١-٦٠٢.

(٨) يُذكر فيها، على سبيل المثال، ولكن بارتكاب خطأ في الرقم (XVII مكان XVIII)، كتاب A. COLOMBO, *Le origini della gerarchia della Chiesa copta cattolica nel secolo XVIII*, (Orientalia Christiana Analecta 140), Rome 1953.
نذكّر بأنّ السلطة الكنسيّة القبطيّة ابتدأت في ١٧٤١، وأصبح النائب العامّ نائبًا رسوليًّا في ١٧٦١،
Cf. Gaudenzio MANFREDI, «I Minori Osservanti Riformati nelle prefetture dell'Alto-Egitto-Etiopia (1697-1792)», dans *Studia Orientalia Christiana Collectanea* 3 (1958), p. 135 et 153.

(٩) *Op. cit.* n. 3, vol. V, 1954, p. 121.

(١٠) Iris Habîb al Masri, *The Story of the Copts*, Dar El Alam El Arabi, 1978, §718, p. 510-511.

وضعه رجل أميركيّ[١١]. وأهمّ فوائده أنّه يشير بدقّة إلى مصادر معلوماته، والمقصود هنا أحداث تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندريّة، وبوجه أدقّ سيرة بطرس السابع[١٢].

لا نعرف مَن هو واضع هذه السيرة، كما أنّ المصادر التي يستقي منها تبقى لنا غامضة. وبما أنّه قد يكون فعلًا كاتبَ سياق الأحداث التاريخيّة التي ورد فيها اهتداء غالي، فلا يجوز لنا أن نُهمل قراءة الفقرة بكاملها كما كُتبت حرفيًّا، علمًا بأنّ الناشرين لم يستخدموا إلّا مخطوطًا واحدًا[١٣]: «وقد سعى فى ايامه محمد على باشا بضم كنيسة مصر إلى كنيسة روميه وذلك أن التنظيمات الجديدة التى صارت فى مصر كانت بواسطة رجال فرنسا وعلمائها فلما رأى محمد على باشا نفسه مغمورة بجزيل معروفهم رام أن يقابلهم بمثله وإذ احتار فيما يقوم نظير ذلك نصحه أحد قواد الجيش وكان بابويا بأن يسعى فى ضم نصارى مصر إلى كنيسة رومية فيجد ذلك الافرنج فعلا حميدا ومعروفا يوازى معروفهم. فاستدعى المعلم غالى وابنه باسيليوس بك رئيس المالية وأمرهما أن يفعلا ذلك فوقعا فى حيص بيص وخافا من وقوع الفتن بين الطائفة فأجابا الباشا قائلين: ان استمالة الطائفة جميعها إلى مذهب كنيسة روميه دفعة واحدة لا تتهيى بدون قلاقل وسفك دماء كثيرين فترى الأحسن أن يكون ذلك بسياسة وتدريب. وذلك اننا نعتنق نحن اولا المذهب البابوى بشرط أن لا نكره على تغيير طقوسنا وعوايدنا الشرقيه وبذلك يمكن أن نميل أفراد الطائفة

---

(١١) Th. H. PARTRICK, *Traditional Egyptian Christianity. A History of the Coptic Orthodox Church*, Greensboro 1996, p. 124.

(١٢) Sur cet ouvrage composite, voir l'étude de J. DEN HEIJER, *Mawhub Ibn Mansur Ibn Mufarrig et l'historiographie copto-arabe. Etude sur la composition de l'Histoire des Patriarches d'Alexandrie*, CSCO 513/Subs. 83, Louvain, 1989.

(١٣) *History of the Patriarchs of the Egyptian Church Known as the History of the Holy Church by Sawirus Ibn al Mukaffa': Volume III, Part III. Cyril II - Cyril V (A.D. 1235-1894)* (Textes et documents XIII). Translated and annotated by A. KHATER et O.H.E. Khs-BURMESTER, Le Caire 1970. Texte arabe p. 174, traduction anglaise p. 307-308. - Au sujet de l'auteur, cf. DEN HEIJER, *Op. cit.* note précédente, p. 13; sur le manuscrit utilisé, ID., p. 21.

رويدا. رويدا فقبل الباشا هذا الرأى واخبر الافرنج ففرحوا وشكروا فعله فانقلب من ثم المعلم غالى وابنه باسيليوس بك ورهط قليل من أشياعهما فى مصر واخميم باباويين فى الظاهر وهم يضمروا بأنهم بعد حين يعودون إلى حضن كنيستهم ومع ذلك ما زالوا يعتبرون كهنة الارثوذكسيين حق الاعتبار ويعمدون أولادهم عندهم.

في هذه الرواية، لا يسعى محمّد علي إلّا لإرضاء الفرنسيّين الذين يشعر بأنّه مدين لهم. فلم يعد الكلام يدور على «سفير»، بل على قائد جيش «بابويّ» يقترح على محمّد علي باشا حيلة الاتّحاد، فيضحّي غالي وابنه بنفسيهما، إذا صحّ القول، مجنّبين الطائفة القبطيّة حمّام دم. وعلى كلّ حال، لم يكن اهتداؤهما إلّا في الظاهر، فهما بقيا أمينَين لطائفتهما القديمة. أمّا تاريخ الحدث فليس هو دقيقًا، ويقال فقط إنّه تمّ على عهد بطريركيّة بطرس السابع.

كلّ هذه المسألة هي مجرّد تلفيقة. ولكن، قبل أن نفحص الوثائق التاريخيّة التي تُثبت بعدم صحّتها، لا بدّ أن نذكّر بأمر هامّ جدًّا. ذلك بأنّ التي مارست، بصفة دولة وصيّة، حماية الإرساليّات الفرنسيسكانيّة في صعيد مصر ومجمل الأقباط الكاثوليك، ليست هي فرنسا، بل إمبراطوريّة هابسْبورغ(١٤). فلو تمّ أيّ تقارب من رومة في تلك الأيّام، لَبُحثت المسألة عن يد القنصليّة النمسويّة. إنّ الذين لفّقوا رواية اهتداء غالي تجاهلوا تمامًا هذا الاعتبار الدبلوماسيّ!

لكن ما يفنّد جميع الادّعاءات باهتداء متأخّر قام به غالي هو العديد من وثائق المحفوظات الموزّعة بين رومة وفيـنّا والقاهرة، وهي تُطلعنا

(١٤) Voir l'étude, basée essentiellement sur les archives viennoises, de Dorothée McEWAN, *Habsburg als Schutzmacht der Katholiken in Ägypten. Kurzfassung der Studie über das österreichische Kirchenprotektorat von seinen Anfängen bis zu seiner Abschaffung im Jahre* 1914 (Schriften des Österreichischen Kulturinstituts Kairo 3), Le Caire 1982. La question du protectorat autrichien a déjà été discutée par Sésostris SIDAROUSS, *Des patriarcats. Les patriarcats dans l'Empire ottoman et spécialement en Egypte*, Paris 1907, p. 121-133.

على نشاط غالي لصالح طائفته. وسبق لجرجس مقّار، الذي أصبح البطريرك كيرلّس الثاني، أن أثبت، باستناده إلى الوثائق، أنّ ذلك التقليد كلّه كاذب[١٥]. وفي أيّامنا، نشر الأب جوزيف متزلر (Metzler) أبحاثًا أساسيّة عن الكنيسة القبطيّة الكاثوليكيّة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، انطلاقًا من محفوظات مجمع نشر الإيمان، الذي أصبح في أيّامنا مجمع تبشير الشعوب[١٦]. ففي البحث الذي خصّصه للنيابة الرسوليّة التي أشرف عليها متّى الرُّقَيطيّ (Matthieu Righet) (١٧٨٨-١٨٢١)، تحدّث أكثر من مرّة عن غالي، وذكر باهتمام وثائق المحفوظات التي رجع إليها. وبما أنّ تدوين التاريخ القبطيّ الأرثوذكسيّ لم يبالِ، لا بتنبيهات جرجس مقّار، ولا بمقالات الأب متزلر، وأنّه ما زال يروّج أمورًا مخالفة للحقيقة، حتّى في عمل موسوعيّ واسع الانتشار، فقد لا يخلو من الفائدة أن يُعرَض نشر بعض الوثائق التي يحفظها مجمع نشر الإيمان، وهي جميعًا يعود تاريخها إلى خريف ١٨٠٦ ووصلت إلى روما عند قيام بعثة الكاهن القبطيّ الكاثوليكيّ رافاييل بَشكي (Baschi)[١٧].

نجد في محفوظات مجمع نشر الإيمان، في المجلّد ٩١٤ والسنة ١٨٠٧، من النسخ الأصليّة التي تختصّ بالمجامع العامّة، ص ٤٠[r] إلى ١٣٤[v]، ملفًّا كاملًا في شأن هذه البعثة[١٨]. فإنّ ص[r-v] تفيدنا، بقلم

---

(١٥) G. MACAIRE, *Histoire de l'Eglise d'Alexandrie depuis saint Marc jusqu'à nos jours*, Le Caire 1894, p. 360-370, en particulier p. 366:
إنّ اللهجة دفاعيّة صراحةً، لكنّ المؤلّف يذكر بنزاهة مصادره، ومنها المحفوظات البطريركيّة.
Cf. aussi Kabès, *op. cit.*, n. 4, p. 56-64.

(١٦) Trois de ces études sont citées dans la bibliographie des articles «Coptic Catholic Church» et «Coptic Relations With Rome» dans *CoptE*; on ajoutera la synthèse, toujours du même auteur, «Werben um die koptische Kirche», dans J. METZLER (ed.), *Sacrae Congregationis de Propaganda Fide Memoria Rerum 1622-1972*, Vol. II, Rome-Freiburg-Vienne 1973, p. 379-403.

(١٧) Voir J. METZLER, «Matta Righet, Apostolischer Vikar der Kopten und Vertrauensmann der S.C. de Propaganda Fide (1747-1821)», dans *Euntes Docete* 13 (1960) 358-407, spécialement p. 390-392 et 394-395.

(١٨) = Les fol. 40[r]-54[v] contiennent un «Ristretto» (i.e. rapport) et les fol. 56[r]-65[r] des

بَسْكي، عن النقاط الستّ التي جاء ليعرضها على المجامع من قبل «الأمّة القبطيّة الكاثوليكيّة»:

١) طلب تعيين متّى الرُّقَيطي للأسقفيّة.
٢) السلام والهدوء بين الأقباط الكاثوليك، والآباء الفرنسكان المصلَحين، بشأن كنيستهم في الموسكي، التي يقيمون فيها الشعائر الدينيّة، والتي يستخدمها الملكيّون أيضًا.
٣) تثبيت الأعياد الخاصّة بالأقباط (مع لائحة بها).
٤) رسالة من الكرسيّ الرسوليّ إلى البطريرك القبطيّ الأرثوذكسيّ، نظرًا إلى الصداقة القائمة بينه وبين الأقباط الكاثوليك.
٥) رسالة إلى الآباء المصلَحين، لكي «يسيروا معنا»، نظرًا إلى الخلافات التي قامت علانيةً.
٦) يُطلب إلى المجمع أن يعتني «بديرنا، دير القدّيس إسطفانس العبيد».

ليس لنا أن نتوسّع في هذه النقطة الأخيرة[١٩]، ولا في العلاقات التي كانت متوتّرة أحيانًا بين الطائفة القبطيّة الكاثوليكيّة والآباء الفرنسكان المصلَحين[٢٠]. وفي أمر النقطة الرابعة، قرّر المجمع، في الجلسة التي عقدها في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٨٠٧، ألّا يقوم بأيّ مبادرة لدى البطريرك القبطيّ مرقس الثامن (١٧٩٦-١٨٠٩)، لأنّ الأزمنة لا تبدو

«Note dell'Archivio sopra il Ristretto Egitto-Copti» qui traitent de l'ensemble= des problèmes soulevés par la mission de Baschi, avec les points de vue de la Congrégation. Les documents émanant de la Congrégation se retrouvent dans les *Acta 1807*, vol. n° 174, fol. 258^{r}-301^{v} («Ponenza» du 22 juin 1807); les réponses aux «Dubia», *Id.*, fol. 302^{r}-303^{r}, signé «L. card. Antonellus Relator». - Sur les archives de la Propagande et leur système, cf. N. KOWALSKY, J. METZLER, *Inventory of the Historical Archives of the Sacred Congregation for the Evangelization of Peoples or «De Propaganda Fide»* (Studia Urbaniana 18), Rome 1983.

(١٩) Voir l'article bien documenté d'Osvaldo RAINERI, «Il monaco etiope Giorgio Galabbada, Rettore di S. Stefano dei Mori dal 1806 al 1845», dans *Nicolaus. Rivista di Teologia Ecumenico-Patristica* 7 (1979) 153-164.

(٢٠) Par exemple, lors de la fête de la Sainte-Croix de 1805, un Père s'était emporté contre les reliques vénérées par les Coptes, cf. *Scritture originali* fol. 133^{r} (duplicata d'une lettre de Righet du 20 novembre 1805) et METZLER, *op. cit.* n. 17, p. 377: cet incident ne manque pas d'être repris dans *CoptE* p. 610b.

مؤاتية[٢١]. وكان أحد الموضوعات المتنازَع عليها بين الأقباط والملكيّين الذين عليهم أن يتقاسموا مع الفرنسكان الكنيسة نفسها، طولَ الرتب القبطيّة وكثرة الأعياد التي يحتفلون بها. لكنّ المجمع تأكّد له، بفضل اللائحة التي حصل عليها، أنّ الأقباط يكتفون بالجري على عادتهم[٢٢].

في الواقع، كان أهمّ أهداف بعثة بَسْكي، كما يُستخلَص من وروده في مطلع النقاط الستّ المذكورة، طلب الرسامة الأسقفيّة لصالح النائب الرسوليّ متّى الرُّقَيْطي. ولكي يتمكّن بَسْكي من تقديم هذا الطلب، كان يحمل عريضة رفَعها ستّة كهنة أقباط كاثوليك وأربعون علمانيًّا، ابتداء باسمَي غالي وفلتاووس يعقوب، يصدِّق عليهما خاتمهما[٢٣]. وهي رسالة مخطوطة محرَّرة بالعربيّة، ثمّ بالإيطاليّة، في عمود واحد. يُرى في الورقة المسلَّكة علامة مائيّة ترسم ثلاثة أهلّة. أمّا قياس الورقة فهو ٤٣ × ٣٢ سنتم (الصفحة ١١٠ في النُّسَخ الأصليّة)[٢٤]. إليكم النصّ، ننقله مُبقين على الإملاء الأصليّ[٢٥] و[٢٦]

---

(٢١) Cf. METZLER, *id.*, p. 392.

(٢٢) ID. p. 381. Documents melchites en arabe et en italien aux fol. 91r-100v. - Pour les fêtes coptes, cf. fol. 122r-125v: lettre de Matthieu Righet en date du 10 novembre 1805; la liste établie par Righet est reproduite aux fol. 73r-80v. Liste des fêtes avec messe chantée du rite melchite au fol. 96r-v, reprise au fol. 82r-v.

(٢٣) cf. Kabès, *op. cit.*, n. 4, p. 58 et 65 (arbre المقصود هو ابن عمّ غالي généalogique). وهل هو أيضًا القيّم القبطيّ الذي يتحدّث عنه كبريال غيمار *Les reformes en Égypte (d'Aly-Bey El Kébir à Mehémet-Ali) (1760-1848)*, Le Caire, 1936, p. 275?

(٢٤) Sur le type de papier «Le Tre Lune», cf. U. ZANETTI, «Filigranes vénitiens en Égypte», dans *Studi albanologici, balcanici, bizantini e orientali in onore di Giuseppe Valentini*, S.J. (Studi Albanesi. Studi e Testi 6), Florence 1986, p. 437-499, spécialement 437-449. La lettre se trouve aujourd'hui insérée dans le billet d'introduction pour Baschi (même papier, même format), au nom de «toute la Nation Copte Catholique», fol. 109r-v (surface écrite) et III (blanc), du 27 octobre 1806. Nous ne reproduisons pas ce long billet qui renvoie à la pétition principale.

(٢٥) نعيد بين قوسَين معقوفين < > الرسائل الملخَّصة من الإيطاليّة. ونشير بنقطة استفهام إلى القراءات غير الثابتة.

(٢٦) =Ce n'est pas ici le lieu de discuter l'état de langue de nos documents arabes et

الصفحة ١١٠[٧]

بالعربيّة

١ – ابينا الابا الكليّ النيافه والشرف والاحترام

٢ – بعد تقبيل تراجيل قدسكم نعرض لدي قداستكم السامیه

٣ – ان سابق كان ابا المجمع المقدس انعموا علينا باقامت اسقف لطايفتنا وكانت تلك الاجازه الي المرحوم ابونا روكس نايب رسولي كان وبعده الي الاب

٤ – يوحنا الفرارجي نايب رسولي كان وفي تلك المرتين لسبب بعد الطريق تسمحوا ابا المجمع المقدس ان تكون الرسامه بجبل كسروان وسمح الله تعالي في كلٍ من

٥ – الابا المذكورين بالوفاه قبل بلوغ هذه الدرجة السامیه فالان حيث ان الاعذار الموجده اللازمه لاقامت اسقف اذا شرحنا البعض منها لطال الشرح

٦ – وصار اكثر من الاول الطاق تلاته وبالاكثر والافضل زيادة طمعنا في حلم ابا المجمع المقدس نرجو تجديد هذه الانعام خصوصاً حيث موجود عندنا الان من

٧ – يصلح لهذه الرتبه اعني الاب الاكرم ذو السيرة الصالحه والافعال الحميده المحموده من الجميع كما هو محقق عند قدس نيابتكم اعني الاب مني وكيل رسولي الان

٨ – الذي ليس يكون لهُ غرض ولا ميل ابداً الي شيآ من الاشيآ علي الاطلاق الآ تتميم مرغوبات المجمع المقدس فنحن الجميع اعني جميع طايفة الاقباط الكاثوليكيين

٩ – كهنه وعلمانيين بوجه العموم الذي دايماً تحت تدبير ابا المجمع

---

nous nous contenterons de quelques remarques sur le vocabulaire. Pour = عرضحال 1. 12, cf. *Redhouse Türkçe-İngilizce sözlük*, Istanbul 1998[16], p. 77b: «arzıhal عرضحال arzihal petition, written application». Pour الاعذار 1. 5, cf. R. DOZY, *Supplément aux dictionnaires d'arabe*, Paris 1927[2], p. 107a: عذر dans le sens de «sujet, motif, raison»; ID., p. 70b pour تلاته الطاق, à la même ligne 5: «triple, trois fois autant».

المقدس ونطلب ان دايماً نكون تحت هذا التدبير الذي بغيرهُ لم يكون علاج الي اخر نفس

١٠- فقد قرعنا ابواب حنؤ قدسكم راجين هذا الرجا من حنوكم بما ان فيه عدة نتايج من المرغوبة من ابويتكم ورجانا بالله تعالى لا يكون رجانا عند قدسكم

١١- باطلاً بما انكم تسلمتوا الحكمه المعالجه للجميع نرجوا من مراحمكم تمام دلك وحضور اذن الرسامه للاب المدكور بصحبت (؟) الاب رافاييل احد الخوارنه

١٢- الذي دايماً فارغ جهده في خدمت النفوس والطقوس الذي يلزمنا حضوره عاجلاً المرسل خصوصاً لدي مراحمكم بخصوص فى شأن دلك وبعرضحال

١٣- اخر يقدمه لدي قداستكم السامیه وان شآ قدسكم تفيموا من تلميدكم المدكور كل حقيقة احوالنا وتراجيل قدسكم مقبله تانياً وتالتاً.

بالإيطاليّة

أيّها السادة الفائقو السموّ والاحترام

بعد لثم أُرجوانكم المقدّس باحترام، نحيطكم علمًا بأنّ المجمع المقدّس كان قد أنعم علينا في الماضي بإقامة أسقف في القاهرة لأمّتنا. مُنحت هذه الرتبة للمرحوم المحترم روفُس النائب الرسوليّ، والمرحوم المحترم يوحنّا الفرارجي، النائب الرسوليّ. وفي المرّتين، كان السبب مشقّة السفر إلى جبل لبنان للحصول على الرسامة. ولكنّهما، بسبب خطايانا، وقبل وصول الإذن في الرسامة، انتقلا إلى الحياة الآخرة. وهناك أسباب كثيرة تقتضي وجود أسقف، ويحتاج سردها واحدًا واحدًا إلى خطاب طويل. وهذه الحاجة أصبحت اليوم أمسّ مرّتين. وبما أنّ رجاءنا هو في سموّكم الفائق، نجدّد التماسنا هذه النعمة. ذلك بأنّ عندنا الآن شخصًا جديرًا بهذه الرتبة بفضل علمه وتقواه وأعماله الصالحة. جميع الناس يُثنون عليه، وهو معروف عند سموّكم الفائق: إنّه نائبنا الرسوليّ متّى الرُّقَيطيّ. ولقد أبدى تجرّدًا في هذا الأمر، ولا يريد دائمًا

إلّا إنجاز أوامر المجمع المقدّس. ولذلك، فنحن جميعًا، أي الأمّة القبطيّة الكاثوليكيّة بأسرها، سواء أكانوا كهنة أم علمانيّين خاضعين لهم وغير قادرين على القيام بعمل من دونهم، نقرع باب رحمة سموّكم الفائق، لالتماس هذه النعمة التي تدفع إليها أسباب كثيرة، كما يعلم سموّكم الفائق، ونرجو من الله أن يُجاب إلى ندائنا، لأنّ معرفة كلّ شيء وُهبت لكم. ولذلك نكرّر طلبنا أن تُلبَّى رغبتنا في أن يُرسَل إلينا تثبيت الرسامة عَبرَ رسولنا المحترم رافاييل بَسْكي. وقد أوفدناه إلى سموّكم الفائق لتلك القضيّة، وهو يحمل إليكم مذكّرة. وإن شاء سموّكم تستطيعون أن تحصلوا منه على تثبيت للأحداث. وفي الختام، نشهد كأمام الله أنّ الكاهن المسمّى هو أحد الخوريّين، وهو متيقّظ دائمًا ولا يعرف التعب في خدمة النفوس ورعايا طائفته. ونتمنّى أن لا يُبطئ في عودته. وإذ نحن نلثم أرجوانكم المقدّس، نعرب عن كامل طاعتنا واحترامنا لسموّكم الفائق.

تلاميذكم وأبناؤكم

القاهرة ٢٧ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٨٠٦

انا الحقير القس عبد الملاك منصور(؟) الراهب اريد ان يكون ابونا المكرم القس متى اسقف على طايفتنا القبطيه الكاثوليكيه	انا الحقير في الكهنه القس يوحنا قدسي الطوخي اريد ان يكون ابونا متى اسقفاً على طايفتنا القبطيه الكاثوليكيه	انا القس كيرللس اتحد واريد ان يكون حضرت ابونا متى الوكيل الرسولى الان ان يكون مطران علينا وعلي الطايفه ولم اريد غيره
(التوقيعات)	تلميد قدستكم راجي صالح الدعا ولماح ما فيه (؟) اسحق غالى سرجيوس (الخاتم)	تلميدكم راجي دعاكم عبدكم فلتاووس يعقوب

لتلك الوثيقة فائدة خاصّة فإنّها تساعد الطائفة القبطيّة الكاثوليكيّة على وعي ذاتها في أولى سنوات عهد محمّد علي. ذلك بأنّها، في النصّ وفي التوقيعات على السواء، تحدّد نفسها «أُمّة»، وهي لفظ لا يمكن فهمه بمعنى «ملّة»، إذ إنّ الإمبراطوريّة العثمانيّة لم تعترف بها قطّ بهذه الصفة[٢٧]. ولم تَنسَ الطائفة أيضًا ترقية كاهنَين من كهنتها إلى رتبة الأسقفيّة، وهما روقس قدسي ويوحنّا الفرارجي، مع أنّ أيًّا منهما لم يستطع أن يُرسَم[٢٨]. هذا وإنّ الرسالة لا تفيدنا شيئًا عن الدوافع الكثيرة

(٢٧) Sur la question du *millet*, cf. McEWAN, *op. cit.* n. 14, p. 88. La reconnaissance de Cyrille II en 1900 sera l'affaire du gouvernement égyptien, cf. SIDAROUSS, *op. cit.* ibid., p. 117-121; McEWAN, «Anhang VI», p. 106 (Boutros Ghālī au consul général Heider); enfin, dans la perspective des archives françaises, Joseph HAJJAR, *Le Vatican - La France et le catholicisme oriental* (1878-1914). *Diplomatie et histoire de l'Église* (Bibliothèque Beauchesne. Religions Société Politique, tome 6), Paris 1979, p. 196.

(٢٨) عن هذَين الشخصَين، راجع METZLER, *op. cit.*, n. 17, p. 387. عُيّن الاثنان مطرانَين في ١٧٨١. توفّي روكو في ١٧٨٨ وفرارجي في ١٧٨٥ - تلفت الانتباه إلى دقّة العربيّة في النصّ، ١، فهي تتحدّث عن «جبل كسروان» في حين تتحدّث الإيطاليّة بوجه أعمّ عن «جبل لبنان».

التي تبرّر تعيين أسقف قبطيّ كاثوليكيّ، ما عدا أنّ متّى الرُّقَيْطيّ هو حقًّا الرجل الصالح لهذه الرتبة. فإنّ الأمّة كلّها، كهنةً وعلمانيّين، تسلّم أمرها إلى موافقة كرادلة المجمع الذين في إمكانهم أن يكونوا أكثر اطّلاعًا عن يد موفدهم، الأب رافاييل بَسْكي. والرسالة مذيَّلة بتوقيعات ستّة كهنة[٢٩]، يعبّر بعضهم بوضوح عن تصويتهم للرُّقَيطيّ، وأربعين علمانيًّا. وفي رأسهم توقيع فلتاووس يعقوب وغالي المثبِّت بخاتمهما.

من الواضح أنّ تعيين أسقف كان أهمّ النقاط الستّ التي طُلب إلى بَسْكي أن يناقشها عند القيام ببعثته الرومانيّة. فاستخدام الأسلوب المَهيب في الرسالة، فضلًا عن عدد الموقّعين، يدلّ على أهمّيّة الطلب: فمن شأن وجود أسقف خاصّ بالأقباط الكاثوليك أن يرفع شأن وضع الطائفة بالنسبة إلى الفرنسكان المصلَحين والملكيّين. وفي السطر ١٢ من النصّ العربيّ، تشير لنا الرسالة إلى أنّ بَسْكي كان يحمل عريضة ثانية من الطائفة كلّها، ومن الراجح أنّ المقصود وهو الصفحة ١٠١[٧] – ١٠٢[٢] من النُّسَخ الأصليّة، المحرَّرة بالعربيّة والإيطاليّة والمُعَنونة «رد جواب عن بعض أشيا تيمونا بها الأبا الفرنسكاويه».

هناك ثلاث شكاوى مذكورة: ١) الأقباط يحتفلون بأعياد إضافيّة – ٢) عدد الذين يحضرون قداديس كبيرة قليل جدًّا – ٣) «تهموا أشخصًا منا أن صار عنده قداس كبير في منزله وبسبب ذلك صار سجس عظيم ما بين المسلمين والأراتقه». هذه الشكاوى الثلاث، يليها ردّ الطائفة: ١) على النقطة الأولى: تؤكّد الطائفة أنّها لا تحتفل بربع الأعياد الواردة في اللائحة التي قدّمها متّى الرُّقَيطيّ إلى المجمع – ٢) في شأن قلّة الحضور، كيف يزداد عدد المؤمنين إن كان هذا العدد ضئيلًا عادةً؟ – ٣) تعيدنا هذه النقطة الثالثة إلى موضوع مقالنا.

---

(٢٩) Parmi eux, on relèvera Maxime Giuaid qui succèdera à Righet dans la charge de vicaire apostolique, cf. Josef METZLER, «Das apostolische Vikariat der Kopten unter Massimo Giuaid (1821-1831)», dans *Euntes Docete* 14 (1961) 36-62.

ذلك بأنّ الرجل السلام على إقامة قداديس في منزله ما هو إلّا غالي. ونحن مطّلعون على هذا الأمر، لا عن طريق الشكاوى المتكرّرة فقط، بل على لسان غالي نفسه. لا شكّ أنّه كان يعتبر الشكوى أخطر والرهان أهمّ من أن يمتنع عن الردّ، فكانت ردود فعله على جبهتين. فقد التمس أوّلًا شهادة خطّيّة من قنصليّة النمسا العامّة التي كانت، كما ذكرنا، تمارس حمايتها لصالح الأقباط الكاثوليك. وكان القنصل العامّ يسمّى كارْلو روسّيتي (Carlo Rossetti)، وهو شخصيّة بارزة وماهرة إلى أقصى حدّ، فبدا للأقباط الكاثوليك حليفًا أمينًا[٣٠]. لكنّ الشهادة لم تصدر عن روسّيتي، بل عن قنصل إقليم[٣١]. والشهادة محفوظة في النُّسَخ الأصليّة، صفحة ١١٨ر[٣٢]. إليكم نصّها:

«نحن، يعقوب ماكْ أرْدْلِه (Giacomo MacArdle)، بجلالته الإمبراطوريّة والملكيّة قنصل إقليم عامّ في القاهرة.

نُثبت ونشهد، حيثما قد يكون الأمر مفيدًا، أنّنا لم نطّلع على أنّه، حين سمح المعلّم غالي سرجيوس، القيّم القبطيّ على هذه المدينة، بإقامة الرتبة الإلهيّة في معبد منزله، قد نتج عن ذلك أيّة فضيحة أو قلّة احترام نحو الدين الكاثوليكيّ وعند الأتراك والبراتقة. وعلى أثر ذلك، لمّا تسلّمنا من المعلّم غالي سرجيوس المذكور طلب وثيقة رسميّة، فإنّنا نسلّمه هذه الوثيقة، موسومة بتوقيعنا ومثبّتة بخاتم القنصليّة العامّة وموقّعة من رئيس ديواننا الوكيل – القاهرة – ٢٧ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٨٠٦.

(الختم) ي. أردله

---

(٣٠) Sur le Vénitien Carlo Rossetti, Edler von Rosenhügel (annobli en 1788, consul général en 1805, mort au Caire le 21 février 1820), cf. Mc EWAN, *op. cit.*, n. 14, à l'index; Constantin WURZBACH, *Biographisches Lexikon des Kaisertumes Österreich etc.*, tome 27, Vienne 1874, s.v.. Pour une appréciation française du personnage, voir GUÉMARD, *op. cit.*, n. 23, à la note 52 p. 65-66.

سرف يشكر الفرنسكان إلى رومة من أنّ روسيتي يقف دائمًا إلى جانب الأقباط .cf McEWAN, p. 71 et sa note 15.

(٣١) لا نعرف غير ذلك عن G. MacArdle، ولا عن وكيل رئيس الديوان الذي وقّع توقيعًا غير واضح.

(٣٢) ورقة مسلّكة مطبوعة بعلامة مائيّة، ٢٥×٢٠ س م.

بأمر السيّد قنصل الإقليم العامّ الكلّيّ الرفعة
بوشيانتي(؟) رئيس الديوان الوكيل

لا نعلم منذ متى كان غالي يسلك معبدًا خاصًّا في منزله ولا كم مرَّة استخدمه لإقامة بعض الاحتفالات، لكنّه يُستخلص بوضوح من تلك الشهادة أنّ «القيّم القبطيّ» غالي كان، في نظر الخدمات القنصليّة النمساويّة، كاثوليكيًّا معروفًا. وكيف تكون الأحوال على غير ذلك، علمًا بأنّ المعلّم كان، منذ آب (أغسطس) ١٨٠٥[٣٣]، من أكثر الرجال نفوذًا في البلد.

إنّ الوثيقة القنصليّة تحمل تاريخ ٢٧ تشرين الأوّل (أكتوبر)، كالوثيقة الأولى المنشورة، أي طلب الرسامة الأسقفيّة لمتّى الرُّقَيطيّ. وفي اليوم نفسه، خطا غالي خطوة أخرى، فحرَّر، باسمه واسم أخيه، عريضة تُرفع إلى البابا. بما أنّ المعبد الخاصّ يجلب إليه المشاجرات، لم يكتفِ بمساعي القنصليّة الحميدة، بل توجّه رأسًا إلى بيّوس السابع. فبين جميع الأوراق التي ذهب بها بَسْكي من القاهرة إلى رومة، نجد فعلًا عريضة غالي. لم تُضَف هذه الوثيقة إلى النُّسَخ الأصليّة، بل تؤلّف الصفحة ٢٧٩ ٣ من مقابلات سيّدنا البابا في ١٨٠٧، من المجلّد الذي يحمل رقم ٤٥ من تلك المجموعة[٣٤].

١ – ما يرجوه احقر التلاميد واكثر خطايا من جميعهم من اب المراحم
٢ – الذي بيده المفاتيح الملكوتيه الكلي الطوباه والقداسه
٣ – الاول
٤ – منح غفران عند الموت ليّ والي اخي وعيالنا بعدي الي رابع درجه
٥ – الثاني

(٣٣) إنّ المؤرِّخ الأخباريّ الجَبَرتي يحدّد يوم الأربعاء ١٨ جُمادى الأولى ١٢٢٠، أو ١٤ آب (أغسطس) ١٨٠٥، لتلية نداء محمّد علي الذي كان يقبض على زمام الحكم منذ شهر أيّار (مايو).

(٣٤) الورق المسلَّك نفسه والمطبوع بعلامة مائيّة ترسم ثلاثة أهلّة. هو الورق الذي كُتبت عليه العريضة القبطيّة المذكورة، والخطّ بالحبر الأسود هو نفسه.

٦ - منح غفران لمن يتناول في يوم عيد الآباء ابراهيم واسحق
٧ - ويعقوب الجاري عندنا في ٢٨ مسري الموافق ٢ ستنبره
٨ - بما ان اسمي اسحق اصلاً صرت مختصاً بهذا العيد
٩ - الثالث
١٠ - ارجوا من قدسكم تفرضوا علي تلميذكم واخيه واهل منازلنا حسناً
١١ - مآء او عيادةً مآء حيث كل مره اقدم دلك اكسب غفراناً
١٢ - مآء كما يحسن وينعم قدسكم
١٣ - الرابع
١٤ - تثبيت الكبيله المعموله مني بمنزلي لاعذار معده ولبعض اشخاص
١٥ - بمنزلي لم يمكنهم التوجه الكنيسه ومنح غفران علي دلك والامر
١٦ - في ذلك والاذقات مفوض لقدسكم كما يحسن لديكم والعذر ان
١٧ - سمحتوا يعرض لديكم من تلميذكم الاب رفاييل وموجود في الكبيله
١٨ - دورة الصليب كل مره يعمل ذلك وبالخصوص نربح الغفران
١٩ - فحين مسكت القلم افتكرت كترت خطاياي والكتير يحتاج الي
٢٠ - رحمه كتير فمن ذلك غاب عقلي ولم صرت افهم اطلب شياً لتقل[٣٥]
٢١ - خطاياي فتركت كل طلبتي الي حنوّ رحمتك ومآء تمنحوه
٢٢ - يفوق عن مطلوبي ولم ليّ لسان سوي يا رب غير مستحق
٢٣ - بل قول كلمه فابري بكليتي

بالإيطاليّة

ملاحظة في ما يرغب من تقوى قداستكم، الذي بيده مفاتيح الجنّة، عبدُه أكبر الخاطئين:

١ - الغفران الكامل عند الوفاة، لي ولأخي وعائلَتَينا حتّى الجيل الرابع.
٢ - الغفران الكامل لمَن يعترف ويتناول يوم الآباء القدّيسين إبراهيم واسحق ويعقوب، علمًا بأنّ العيد الأخير يقع في ٢٨ مسري، أي

(٣٥) مكان «لتقل». وهناك نصوص خُفّفت فيها ذ إلى د.

في ٢ أيلول (سبتمبر)، وسبب ذلك أنّي أُدعى اسحق وأحتفل بهذا العيد.

٣ – ألتمس من قداستكم أن تمنحني، أنا وأخي وعائلَتَينا، عملًا صالحًا نستطيع، بفضل القيام به، أن نربح الغفران الذي تحدّده قداستكم.

٤ – تثبيت معبد قائم في منزلي لعدّة أسباب، فإن كثيرين منّا لا يستطيعون الذهاب إلى الكنيسة، وغفرانًا للمعبد، كما تراه قداستكم. وإن أردتم أن تعرفوا سبب ذلك، فإنّ تلميذكم الكاهن رافاييل بَسْكي يُطلعكم عليه. وفي معبدنا درب صليب، يُمنح، كلَّ مرّة نقوم به، غفرانًا كاملًا. ما إن تناولت القلم حتّى ذكرت خطاياي الكبيرة، ولكنّ الخطايا الكبيرة تتطلّب رحمة عظيمة، وفيما أنا أفكّر في ذلك، فقدت صوابي ولم أعد أعرف ماذا عليّ أن أطلبه بسبب خطاياي الكبيرة، وأسلمت جميع مطالبي إلى تقواكم. هذا وإنّ رحمتكم ستمنحني أكثر ممّا أطلبه، ولا أستطيع إلّا أن أقول: ربّي، لست مستحقًّا، ولكن قل كلمة واحدة فتشفى نفسي. وهذا ما أنتظره من نعمتكم.

القاهرة، ٢٧ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٨٠٦

غالي سرجيوس وأخوه فرنسيس

٢٤– راجي تمام هذا الرجا ولد بغير استحقاق مقبل مواطى الأقدام الكلية

٢٥– القداسه اسحق الملقب غالي سرجيوس وفرنسيس أخيه

(الخاتم)

فالعريضة تبتدئ إذًا بثلاثة مطالب غفران، علمًا بأنّ المطلب الأخير يكشف لنا أمرًا لم نجده إلّا في هذه المحفوظات: الاسم الشخصيّ المسيحيّ الذي يُطلق على المعلّم، أي اسحق، بالإضافة إلى اسم عائلته سرجيوس[٣٦]. فبهذه الطريقة وقّع عريضة الطائفة القبطيّة لانتخاب متّى

(٣٦) Cf. Kabès, *op. cit.*, n. 4, p. 65 (arbre généalogique).

الرُّقَيطيّ. لكنّ اسم اسحق لا يظهر على خاتمه الذي لا نقرأ فيه إلّا «غالي سرجيوس». أمّا عيد الآباء الثلاثة إبراهيم وإسحق ويعقوب فإنّه يقام في ٢٨ مسري، أي ما يطابق ١٨ آب (أغسطس) من التقويم اليوليانيّ أو، كما توضّحه العريضة، في ٢ أيلول (سبتمبر) من التقويم الغريغوريّ في تلك الأيّام[٣٧]. لكنّ الطلب الرئيسيّ، فلا شكّ أنّه تثبيت المعبد البيتيّ[٣٨]. هناك عدّة اعتبارات للحصول عليه والأب بَسْكي يستطيع أن يستند إليها. على كلّ حال، لا يُذكر إلّا اعتبار واحد، وهو عجز بعض سكّان البيت عن الذهاب إلى الكنيسة – تُقصد النساء طبعًا. وفي المعبد درب صليب، وهي عبادة لاتينيّة إلى أبعد حدّ. وهناك شيء آخر لاتينيّ وهو اسم أخي المعلّم، فرنسيس[٣٩]. ولقد وافق بيّوس السابع على المطالب الأربعة في أوّل أيّار (مايو) ١٨٠٧[٤٠].

إنّ كثرة الوثائق التي يظهر فيها اسم غالي تدلّنا على الدور الأساسيّ الذي قام به المعلّم في بعثة الأب بسكي الرومانيّة. لمّا كان، نظرًا إلى وضعه الاجتماعيّ، على رأس الطائفة القبطيّة الكاثوليكيّة، ولمّا كان يملك معبدًا خاصًّا حيث يطلب من أحد الكهنة أن يُقيم القدّاس بحسب طقسه، ولمّا كان له من الثروة ما يساعده على فرض الاحترام، كان، هو وابن عمّه فلتاووس يعقوب، روح البعثة. ويبدو أنّهما تقاسما المهمّة. فإذا صحّ أنّ غالي يريد الحصول على امتياز بابويّ لمعبده، فإنّ فلتاووس يقترح

(٣٧) Cf. M. de FENOYL, *Le sanctoral copte* (Recherches publiées sous la direction de l'Institut de Lettres Orientales de Beyrouth, tome XV), Beyrouth 1960, p. 184. Pour la réduction du calendrier copte au calendrier grégorien dans la période en question, cf. Marius CHAÎNE, *La chronologie des temps chrétiens de l'Égypte et de l'Éthiopie* etc., Paris 1925, p. 92.

(٣٨) A noter l. 14 la forme italienne du mot en arabe, tout comme pour le mois de septembre, l. 7.

(٣٩) Sur François (فرنسيس) Ghâlî, cf. METZLER, *op. cit.* n. 17, p. 403-405; ID., *op. cit.* n. 29, p. 40-43: en 1822, il succède au poste de son frère assassiné; il meurt en 1824.

(٤٠) Cf. ID., 390-391 et déjà G. MACAIRE, *op. cit.* n. 15, p. 363-364.

مكانًا آخرَ في دير الفرنسكان ليحتفل فيه بسلام بالطقس القبطيّ[٤١]. هذا وإنّ كليهما يعملان مع كارلو روسّيتي[٤٢].

إنّ الدور الحاسم الذي يقوم به الوَجْهان القبطيّان تُثبته لنا رسالة بالإيطاليّة وجّهها إلى المجمع متّى الرُّقَيطيّ في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٠٦. وهي تؤلّف الصفحتين ١٢٧ٍ - ١٢٨ٍ من النُسَخ الأصليّة[٤٣]، مع نسخة بخطّ الرُّقَيطيّ أيضًا، في الصفحتين ١٢٩ٍ - ١٣٠ٍ. لا ننقلها بكاملها، لأنّها تتضمّن لائحة طويلة للهدايا المقدَّمة إلى البابا وإلى أحبار المجمع[٤٤]. إنّ هذه الوثيقة هي أحدث الوثائق التي ننشرها هنا، لكنّها توفّر لنا معلومات تلقي أضواءً على البعثة كلّها:

«أيّها الأمراء الفائقو السموّ، أيّها السادة الكرادلة في مجمع نشر الإيمان. يجب عليَّ أن أُخبر المجمع المقدّس بأنّ الأمّة القبطيّة الكاثوليكيّة قد حازت حاليًّا المراكز الأولى والمناصب والرتب الأولى لدى السلطة السياسيّة وأنّ التيّم الأوّل ورئيس الكتّاب في القاهرة هو كاثوليكيّ، وهو السيّد غالي سرجيوس، والثاني هو السيّد فلتاووس يعقوب. إنّ الاثنين هما رجلان لا ينقصهما أيّ شيء وهما غيوران على الإيمان الكاثوليكيّ. ففي أحد الأيّام، زارني السيّد غالي، رئيس الكتّاب، وقال لي إنّه هو والسيّد فلتاووس يريدان أن يرسلا هدايا إلى قداسة البابا

(٤١) Voir dans les *Scritture originali*, fol. 107ᵛ-108ʳ, la lettre de Filtāwūs, avec sceau, en arabe et italien, datée du 30 octobre 1806. Du même aussi, sur l'affaire des reliques (cf. n. 20), une lettre en arabe et en italien du 27 octobre aux fol. 113ʳ-114ʳ, insérée dans la copie du texte italien de la lettre datée du 30 octobre (surface écrite: fol. 112ʳ).

(٤٢) Cf. fol. 116-117, lettre de Rossetti en date du 24 novembre 1806, dans laquelle il demande que la Congrégation intervienne auprès de la cour d'Autriche. Plan de l'hospice franciscain avec légende aux fol. 119ᵛ-120ʳ. Cf. aussi McEWAN, *op. cit.* n. 14, p. 71 et la note 13, p. 79, où l'on voit que la question du local est bien allée en 1807 du ministère des affaires étrangères à Vienne jusqu'à l'Internonce (titre de l'ambassadeur autrichien à Constantinople). - La chapelle consulaire sera officiellement reconnue comme église des Franciscains Réformés et des Coptes en 1808, cf. McEWAN, p. 71.

(٤٣) Feuille de papier pliée en deux, formant quatre pages de 25 sur 19 centimètres.

(٤٤) On trouvera le détail des présents dans METZLER, *op. cit.* n. 17, p. 392, n. 10.

بيّوس السابع، وإلى الكردينال الفائق السموّ، رئيس مجمع نشر الإيمان، وإلى الكردينال الفائق السموّ أنطونلّي، وإلى كرادلة مجمع نشر الإيمان الفائقي السموّ، وإلى المونسنيور الفائق الشهرة والاحترام، أمين سرّ مجمع نشر الإيمان. وطلبتُ إليه أن يُعدّ الهدايا، فأُعدّت وأصبحت جاهزة.

وأُرسلت هذه الهدايا يرافقها الأب رافاييل بسكي الذي لم يبطئ في الذهاب إلى رومة. وقد سبق للشخصيّات القبطيّة أن نبّهتني إلى أنّه لا بدّ من إرسال هذا الكاهن لقضايا الطائفة، بالرغم من معارضتي لترك الأب رافاييل بسكي يذهب إلى رومة، نظرًا إلى فقر الكهنة. لكنّ أعيان الأمّة القبطيّة دفعوا، لتغطية نفقات السفر إلى رومة، ٧٠٠ أبو طاقة، لا بل أكثر من ذلك.

هذا ما كان عليَّ أن أطلع فائق سموّكم عليه.
وأختم بلثم أرجوانكم المقدّس من المجمع المقدّس
القاهرة ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٠٦

عبدكم الحقير متّى الرُّقَيطيّ النائب الرسوليّ

يبدأ الرُّقَيطيّ إذًا بإعلام المجمع أنّ الطائفة («الأمّة») القبطيّة الكاثوليكيّة هي ذات حظوة لدى الحكم، بفضل غالي وفلتاووس يعقوب، رجلَين كاثوليكيَّين غيورَين. ثمّ يروي زيارة غالي الذي يريد، مع فلتاووس، أن يرسل هدايا إلى رومة:(٤٥) كيف يستطيع ألّا يوافق؟ لا شكّ أنّ نقلها يتطلّب أن يُضحّى لبعض الوقت بكاهن، بالأب رافاييل بسكي، مع أنّ عدد الكهنة في القاهرة غير متوفّر. ولكن هل يمكن رفض طلب

(٤٥) Il y en a pour le pape Pie VII, pour les cardinaux Michele Di Pietro, préfet de la Congrégation, et Leonardo Antonelli (cf. n. 18!), les autres Cardinaux de la Congrégation et pour son secrétaire, Domenico Coppola, archevêque de Myre. - On trouvera une liste des préfets et secrétaires de la Propagande dans KOWALSKY-METZLER, *op. cit.* n. 18, p. 102-106.

غالي؟ لا سيّما وأنّ غالي وفلتاووس يؤكّدان ضرورة هذه البعثة للاهتمام بقضايا خاصّة يتجنّب الرُّقَيطيّ أن يوضحها. ثمّ إنّ غالي وفلتاووس يتعهّدان تغطية جميع نفقات السفر، ذهابًا وإيابًا، وبسخاء[٤٦].

إنّ هذه الرسالة رائعة من روائع اللباقة الشرقيّة، لأنّه من غير المحتمل أن يكون الرُّقَيطيّ غير مطّلع على جميع مفاوضات - إن لم نقل: على جميع مشاكل! - طائفته. إنّ تواضعه[٤٧] يدفعه إلى عدم التلميح إلى طلب الرسامة، كما أنّ لباقته ردّته عن الإشارة مباشرة إلى التصادم بين الفرنسكان والملكيّين. بكلّ ذلك عُهد إلى بعثة بسكي التي تهدف، قبل كلّ شيء، في نظر الرُّقَيطيّ، إلى نقل هدايا إلى رومة! لا شكّ أنّ مناورات غالي وفلتاووس لا تخلو من عدم التحفّظ، لكنّ الرُّقَيطيّ يكون على خطأ إن فوّت الفرصة. فإنّ تلك السنوات الأولى لعصر جديد في مصر تُعدّ زمنًا مؤاتيًا جدًّا للطائفة القبطيّة الكاثوليكيّة. فلا عجب أن يشعر الملكيّون بذلك، علمًا بأنّهم احتجّوا إلى المجمع على موقف غالي[٤٨]، ولفتوا النظر إلى أنّ المعلّم وأصحابه سيبدّدون عند أوّل تغيير. على ذلك ردّ بسكي أنّ أصحاب السلطة في مصر قد يتغيّرون، في حين تبقى الإدارة في مكانها[٤٩].

---

(٤٦) Sur la pataque (l. 16-17) et sa valeur, cf. GUÉMARD, *op. cit.* n. 23, p. 267-272, avec la note 85, qui explique ainsi cette appellation locale du thaler: «Pataque = Abou-taquah (Père à la fenêtre, à cause de l'écusson, posé sur l'aigle impériale, ressemblant à une croisée)». Voir aussi André RAYMOND, *Artisans et commerçants au Caire au XVIII^e siècle*, tome I, Damas 1973, p. 23-25. - Ghālī et Filtāwūs sortiront même davantage de leur bourse, payant les frais de voyage d'un prêtre éthiopien nommé Moïse qui se rendra à Rome avec Baschi, cf. leur lettre aux Cardinaux en date du 16 novembre 1806, fol. 106^r-^v. Cet Éthiopien n'est autre que Giorgio Galabbada, cf. RAINERI, *op. cit.* n. 19; dans sa relation autobiographique de 1828, Moïse se souviendra encore de la générosité des «Signori Cofti» (cf. ID. p. 161).

(٤٧) Comme l'écrit Carlo Rossetti dans une lettre du 25 octobre 1812 à la Congrégation: «quella modestia che lo ha sempre distinto» (cf. METZLER, *op. cit.* n. 17, p. 396, note 13).

(٤٨) Selon leur dire, Ghālī et Filtāwūs auraient ouvertement déclaré qu'ils avaient comme but, une fois l'évêque nommé, de disperser toute la «Nazione Greca» hors d'Égypte, cf. *Scritture originali*, fol. 51^v-52^r («Ristretto») et fol. 91^r.

(٤٩) *Scritture originali*, fol. 53^r-^v.

لكنّ رومة، بعد التفكير مليًّا، لم تَرَ الساعة مؤاتية لتعيين أسقف في القاهرة[٥٠]. ولم يُرَقَّ متّى الرُّقَيطيّ إلى الرتبة الأسقفيّة إلّا في ١٢ آذار (مارس) ١٨١٥، «لعدم نشأة أيّ خطر اضطهاد من ذلك»، كما ورد في القرار[٥١]. ولكن، مع الأسف، ما إن انطلق الرُّقَيطيّ ليتقبّل الرسامة في لبنان حتّى وقع الأسوأ: فقد هوجم وانتُزع منه مرسوم الانتخاب وأُتلف[٥٢]. وسينقضّ الاضطهاد على غالي أيضًا، فيُشترى عليه، ويعزله محمّد علي، ثمّ يُعاد إلى منصبه[٥٣].

- - لا يسعنا أن لا نتساءل بأيّ قدر كان محمّد علي مطّلعًا على نشاط غالي في سبيل طائفته الكاثوليكيّة. إنّ الوثائق التاريخيّة القبطيّة، التي ذكرناها في مطلع دراستنا، تنسب إلى محمّد علي اهتداء المعلّم إلى الكثلكة، وهذا خطأ جسيم لا يعذره إلّا الجهل. فإنّ الوثائق التي نشرناها تُثبت، إن اقتضى الأمر بعد ذلك، انتماء غالي الأصليّ إلى الكثلكة. فإنّ حسن نيّته لم تكن موضع شكّ، لا من قبل ذويه طبعًا، ولا من قبل المجمع، ولا من قبل القنصل النمساويّ، وحتّى لا من قبل الذين يجدون في ذلك سبيلًا إلى الحطّ من نفوذه، الملكيّين على سبيل المثال، لا بل الفرنسكان[٥٤].

---

(٥٠) Cf. METZLER, *op. cit.* n. 17, p. 396. Quant à Ghālī et Filtāwūs, ils seront créés par le pape en 1807 chevaliers de l'Éperon d'or, cf. ID., p. 392. La demande de Baschi à cet effet se trouve dans *Udienze*, *op. cit.* dans le texte à note 34, fol. 376', au point 6.

(٥١) ID., p. 397, n. 20.

(٥٢) ID., p. 398.

(٥٣) ID., p. 398, avec note 25 (lettre de Righet du 14.09.1816) et p. 393, note 20 (du même, au 20.01.1817); voir aussi, d'après d'autres sources, MACAIRE, *op. cit.* n. 15, p. 361-362 et GUÉMARD, *op. cit.* n. 23, p. 273.

(٥٤) Que les Franciscains aient su apprécier le rôle de Ghālī à sa juste valeur nous est montré par les réflexions du P. G. M. da Broni au début de sa relation historique, cf. Gabriele GIAMBERARDINI (ed). *«La mia dimora nell'Alto Egitto (1846-1862) del. P. Giuseppe Maria da Broni»*, dans *Studia Orientalia Christiana.* Collectanea 10 (1965), p. 421-422. Le Père y fait aussi l'éloge de Basile Bey, fils aîné de Ghālī, dont le catholicisme est malmené dans le passage de l'*Histoire des Patriarches* cité au début de notre article: «Questi è = quel Cattolico che sempre amò di vero amore tutti i PP. Missionarii, e che

في **الموسوعة القبطيّة**، التي تكتفي بتشويه الوثائق التاريخيّة المحلّيّة، نرى أنّ ما هو النقطة الحسّاسة في أهداف محمّد علي، حين يُرغم المعلّم على الاهتداء، هو الاتّحاد بالكنيسة الرومانيّة. ففي الواقع، لم يَخلُ غالي التاريخيّ من إضمار أهداف اتّحاديّة. لقد ذكرنا أعلاه أنّ إحدى العرائض التي رفعها بسكي عند بعثته الرومانيّة، في ١٨٠٦-١٨٠٧، كانت بعث برسالة لطيفة من المجمع إلى البطريرك مرقس الثامن. ففي ٢٦ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٨١٥، كتب غالي إلى المجمع، مقترحًا عليه أن يبعث برسالة إلى البطريرك بطرس السابع في شأن الاتّحاد(٥٥). وفي أوّل أيّار (مايو) ١٨١٩، حثّ المجمع مرّة أخرى المعلّم، الملقّب قيّم مصر العامّ، على التحدّث إلى البطريرك بالاتّحاد. وأضاف المجمع: «لعلّ العناية الإلهيّة قد أعادت إلى سيادتك هذه التكريمات، حتّى إذا ما التهبت بمحبّة مضطرمة، استطاعت، في المناسبات، أن تستخدم جميع الوسائل التي استحسنتها، لكي تستيقظ، في نفس البطريرك، استعداداته الطيّبة التي أظهرها في الماضي»(٥٦).

إنّ المعلّم غالي، اسحق الملقّب بغالي سرجيوس، كما يوقّع رسائله في السنة ١٨٠٦، هو وجه لامع من وجوه الطائفة القبطيّة الكاثوليكيّة. لسوء الحظّ، نرى أنّ الوثائق التاريخيّة القبطيّة الأرثوذكسيّة، كما تعرض الأمور في **تاريخ البطاركة** وكما تردّدها، حتّى في **الموسوعة القبطيّة** الحديثة، تحاول أن تربحه بتلفيق وقائع افترائيّة تخالف الحقيقة، زاعمةً أنّ كثلكته لم تكن سوى موارية للامتثال لأمر محمّد علي ولتوفير حمّام دم للأقباط. إنّ ذلك الاهتداء المزعوم يرقى، في نظرهم، إلى بطريركيّة

per la sua influenza la nostra Religione incominciò a prender vigore e ad= ottenere rispetto dalla parte dei dissidenti» (p. 422). Voir aussi p. 439, sur la mort de Basile. - Non seulement Basile, mais aussi les deux autres fils de Ghâlî, Grégoire et Tobie Cyrille, reçurent les faveurs du vice-roi après l'assassinat de leur père, cf. METZLER, *op. cit.* n. 29, p. 41.

(٥٥) METZLER, *op. cit.* n. 17, p. 392-393.

(٥٦) Aux Archives de la Propagande, volume 300 des *Lettere della Sacra Congregazione*, fol. 252ᵛ-253ᵛ. La citation se trouve fol. 253ᵛ, l. 3-12; cf. déjà METZLER, *op. cit.* n. 17, p. 393.

بطرس السابع، فيكون ذلك تلميحًا إلى الجهود الاتّحاديّة التي بذلها غالي في تلك الأيّام، علمًا بأنّها خدعة واضحة تناقضها وثائق من المحفوظات طالما عرفها أهل الاختصاص[٥٧].

إنّ تحريفات التاريخ ليست في مصلحة أحد، وجميع الذين يحبّون الحقيقة يسعون لتصحيحها. أفليس البحث معًا عن الحقيقة إحدى صيغ المحبّة بين الكنائس؟ نرجو ذلك بلا تردّد.

نقله إلى العربيّة الأب صبحي حمويّ

(٥٧) Rappelons que la mise au point de la question historique remonte au livre de G. MACAIRE publié en 1894, cf. n. 15! Nous ne nous attarderons pas ici à répondre aux insinuations sur la mort de Ghâlî colportées par exemple par HABIB EL MASRI, *op. cit.* n. 11. Pour une tout autre interprétation des faits, cf. Macaire, *id.*, p. 367-399, et Kabès, *op. cit.* n. 4, qui renvoient à Paul MOURIEZ, *Histoire de Mehemet-Ali, vice-roi d'Égypte*, Paris 1858, au tome II, p. 321-323, ainsi qu'à Félix Mengin, contemporain de la tragédie, dans son *Histoire de l'Égypte sous le gouvernement de Mohammed-Aly*, tome second, Paris 1823, p. 247-250.